الكناية تعطيك اختصاراً ووجازة تغنيك عن طول المكني عنه ألا ترى أن الرجل يقول
ضربت زيداً في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به وتعد كيفيات وأفعالاً
فتقول له بئس ما فعلت ولو ذكرت ما أنبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ
الإتيان إلى لفظ الفعل لاستطيل أن يقال فإن لم تأتوا بسورة من مثله **فان قلت**
ولن تفعلوا ما محلها **قلت** لا محل لها لأنها جملة اعتراضية **فان قلت**
ما حقيقة لن في باب النفي **قلت** لا ولن أختان في نفي المستقبل إلا أن في لن تأكيد
وتشديداً تقول لصاحبك لا أقيم غداً فإن أنكر عليك قلت لن أقيم غداً كما تفعل في أنا مقيم
وإني مقيم وهو عند الخليل في إحدى الروايتين عنه أصلها لا أن وعند الفراء لا أبدلت ألفها
نوناً وعند سيبويه وإحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل **فان**
قلت من أين لك أنه إخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة **قلت**
لأنهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع أن يتواصفه الناس ويتناقلوه إذ خفاء مثله فيما عليه مبنى
العادة محال لا سيما والطاعنون فيه أكثف عدداً من الذابين عنه فحين لم ينقل علم أنه إخبار
بالغيب على ما هو به فكان معجزة **فان قلت** ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء ١
إتيانهم بسورة من مثله **قلت** أنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة
صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد
ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم إن استبنتم العجز فاتركوا العناد
فوضع فاتقوا النار موضعه لأن اتقاء النار لزيقه وضميمه ترك العناد من حيث أنه
من نتائجه لأن من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره أن يقول الملك لحشمه إن أردتم الكرامة
عندي فاحذروا سخطي يريد فأطيعوني واتبعوا أمري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط
وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الإيجاز الذي هو من حلية
القرآن وتهويل شأن العناد بإنابة اتقاء النار منابه وإبرازه في صورته مشيعاً ذلك
بتهويل صفة النار وتفظيع أمرها • والوقود ما ترفع به النار وأما المصدر فمضموم
وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقوداً عالياً ثم
قال والوقود أكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما تقول
فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز أن يكون مثل قولك حيوة المصباح السليط أي ليست
حيوته إلا به فكأن نفس السليط حيوته **فان قلت** صلة التي والذي يجب أن تكون
قصة معلومة للمخاطب فكيف علم أولئك أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة **قلت**
لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب أو سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم ناراً وقودها الناس والحجارة **فان**
قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة
قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها ناراً موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت
هذه بالمدينة مشاراً بها إلى ما عرفوه أولاً **فان قلت** ما معنى قوله وقودها
الناس والحجارة **قلت** معناه أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها لا تتقد
إلا بالناس والحجارة وبأن غيرها إن أريد إحراق الناس بها أو إحماء الحجارة أوقدت أولاً بوقود
ثم طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه وتلك أعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس
ما يحرق ويحمى بالنار وبأنها لإفراط حرها وشدة ذكائها إذا اتصلت بما لا تشتعل به نار
اشتعلت وارتفع لهبها **فان قلت** أنار الجحيم كلها موقودة بالناس والحجارة
أم هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة **قلت** بل هي نيران شتى منها نار توقد
بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس
فأنذرتكم ناراً تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم ناراً وقودها الشياطين كما أن لكفرة
الإنس ناراً وقودها هم جزاءً لكل جنس بما يشاكله من العذاب **فان قلت** ١
لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقوداً **قلت** لأنهم قرنوا بها أنفسهم في
الدنيا حيث نحتوها أصناماً وجعلوها لله أنداداً وعبدوها من دونه قال الله تعالى إنكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله إنكم وما
تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1